الإتباع والابتداع

صبرى عبد الرؤف
مدرس مساعد بالكلية

تمهيد :

أرسل الله رسوله محمدا ﷺ إلى الإنسانية جمعاء ليهديهم إلى الصراط المستقيم لكنه - ﷺ - واجه منذ بعثته أنماطا مختلفه من السلوك المخالف لدعوته فهؤلاء الذين لا يؤمنون بوجود الله عز وجل ، وهؤلاء أهل الكتاب الذين بدلوا وحرفوا الكتب السماوية وكفر بعضهم بعضا .

وقد وصف الله سبحانه وتعالى موقف أهل الكتاب من كتبهم وموقفهم مع أنفسهم فقال عز شأنه :

« وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون »(١) .

وقد أخبر الله سبحانه وتعالى عن تفرق أهل الكتاب وكفرهم لأنهم فرقوا دينهم وكانوا شيعا وأحزابا فقال عز سلطانه :

« منيبين إليه واتقوه وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون »(٢) .

وقال ﷺ :

« ستفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة ثنتان وسبعون منها فى النار وواحدة فى الجنة »(٣) .

---

(١) البقرة الآية ١١٣ .
(٢) الروم الآية ٣١ — ٣٢ .
(٣) رواه احمد وأبو داود .

وقد توفى رسول الله ﷺ بعد أن أتم رسالته وأدى أمانته وبين للمسلمين ما لهم وما عليهم :

قال تعالى :

« اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا »(١) .

وبعد وفاة الرسول ﷺ ارتد بعض المسلمين عن دينهم وامتنعوا عن دفع الزكاة وضل الطريق من ضل ، ولولا إيمان أبي بكر رضى الله عنه وموقفه من حرب المرتدين لعاد العرب إلى جاهليتهم الأولى .

ولم تظهر عوامل الخلاف فى عهد سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه لقوة بأسه وبعد وفاته بدأت تظهر عوامل الخلاف بوضوح فى المجتمع الإسلامى فكانت فتنة سيدنا عثمان رضى الله عنه تلك الفتنة التى ظهرت فى عهده رضى الله عنه وفتحت الأبواب أمام المغرضين .

ثم كانت الفتنة فى عهد سيدنا على بن أبى طالب والتشيع له ثم ظهرت الخوارج بعد ذلك ثم ظهرت الأحزاب السياسية وتعددت ثم كثرت أسباب الخلاف بين العقائد والعصبيات وبين المذاهب الموروثة والثقافات المقنولة .

وتحققت نبوءة الرسول ﷺ بظهور الفرق وتعدد المذاهب وعلى الرغم من بيان الرسول ﷺ وإخباره بأن هناك فرقة ناجية إلا أن كل فرقة من هذه الفرق التى ظهرت كانت تدعى أنها هى الناجية ولو نظرنا إلى تعاليم الإسلام لوجدناها تنهى عن التفرق وتأمر بالتماسك والترابط والاعتصام بحبل الله فقال جل شأنه .

---

(١) سورة المائدة الآية ٣ .

« واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا »(١) .

وروى أبو داود والترمذى أن الرسول ﷺ قال :

« وأنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة » .

وجاء فيه :

« من أحدث فى أمرنا هذا ما ليس منه رد »(٢) .

وظهر اسم البدعة بوضوح حينما ألف أبو الحسن الأشعرى المتوفى سنة ٣٠٤ هـ .

كتابه : اللمع فى الرد على أهل الزيغ والبدع :

وأكثر مسائل هذا الكتاب فى العقائد رد بها على المعتزلة بوجه خاص وظهرت مؤلفات أخرى فى البدع لكنها تتعلق بالفروع منها : كتاب الرد على أهل البدع لمحمد بن سحنون المتوفى سنة ٢٥٦ هـ .

وكتاب البدع والنهى عنها لمحمد بن وضاح القرطبي المتوفى سنة ٢٨٦هـ .

ثم كتاب أبى زكريا يحيى بن عون المتوفى سنة ٢٩٨ هـ

وكتاب الحوادث والبدع للطرطوشى المتوفى سنة ٥٢٠ هـ .

وعليه يعتمد كل من ألف بعده مثل أبى شامة فى كتابه : الباعث على إنكار البدع والحوادث .

وألف الشاطبي كتاب الاعتصام .

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٠٣ .

(٢) رواه البخارى ومسلم .

وآخر ما ألف فى هذا الموضوع : كتاب : الإبداع فى مضار الابتداع للشيخ على محفوظ .

الحكمة فى نهى الدين عن الابتداع :

لقد نهى الله سبحانه وتعالى عن الابتداع لحكمتين .

الحكمة الأولى ترجع إلى الدين والحكمة الثانية ترجع إلى المجتمع ذلك لأن الابتداع فى الدين طعن فيه من ناحية كماله ووفائه بحاجة البشر ونبه مخالفة لقول الله عز وجل :

« اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا كما أن الابتداع فى الدين فيه إيثار للهوى ، وقد حذر الله سبحانه وتعالى : من ذلك ووصفه بصفات تدل على القبح وفظاعة ما ارتكبه المبتدع فقال :

« أفرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا »(١) .

والابتداع فى الدين يثير الفتن والفوضى بين الناس ويفرق بين أفراد المجتمع وذلك بكثرة الجدل الذى هو أمارة الضلال بعد الهدى والله سبحانه وتعالى : قد حذرنا من الفرقة وأمرنا بالاتحاد والتماسك والترابط ولا يمكن أن يكون التماسك والترابط بين أفراد المجتمع وأفراده يبتدعون على حسب أهوائهم وشهواتهم وما تفرقت الأمة الإسلامية إلا بعد أن ظهر فيها الابتداع ويوم أن كانت متماسكة مترابطة زلزلت ملك كسرى وقيصر

---

(١) سورة الفرقان ٤٣ ، ٤٤

ومنذ أن ابتعدت عن دين الله وتفرقت وهى تعيش فى متاعب وآلام ما زال المسلم يعانى من آلام الفرقة والخصام وصدق الله إذ يقول :

« تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى » :

ولو أرادت الأمة الإسلامية أن تستعيد عزها ومجدها فعليها بالاتباع. والاتباع هو التمسك بكل ما جاء به الاسلام الحنيف من قول وعمل وما تمسك به أصحاب رسول الله ﷺ من بعده .

تعريف البدعة :

إن للعلماء فى تعريف البدعة منهجين :

المنهج الأول :

فأصحاب المنهج الأول نظروا إلى مادة البدعة التى تدل على الاختراع من غير مثال سابق كما فى قوله عز وجل :

« بديع السموات والأرض »(١) .

وقوله عز وجل :

« ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها »(٢) .

وهؤلاء يعرفون البدعة بأنها :

ما أحدث بعد النبي ﷺ : وبعد القرون المشهود لها بالخير .

وقالوا : إن استخراج البدعة للسير عليها يسمى ابتداعا وهيئتها تسمى

---

(١) سورة البقرة : ١٧٧ (٢) سورة الحديد : ٢٧

بدعة ونرى أن هذا التعريف يدخل فيه ما كان خيرا وما كان شرا وما كان عبادة وما كان عيادة :

والذى حملهم على ذلك هو ورود لفظ البدعة مرة محمولا عليه لفظ المدح ومرة محمولا عليه لفظ الذم .

وقد ورد ذلك فى قوله ﷺ :

« كل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار » .

وقول سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه : حينما جمع الناس فى صلاة التراويح على إمام واحد فى المسجد « إنها بدعة ونعمت البدعة » .

فقد سماها بدعة لأنها لم تكن على عهد رسول الله ﷺ وامتدحها على مسمع ومرآى من أجلاء الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين :

ولم ينكر عليه أحد منهم فدل ذلك على أن البدعة تكون ممدوحة وتكون مذمومة :

قال الامام الشافعى رضى الله عنه :

المحدثات من الأمور ضربان :

أحدهما : ما أحدث يخالف كتابا ، أو سنة أو أثرا أو إجماعا فهذه البدعة : الضلالة :

والثانى : ما أحدث من الخير وهذه محدثة غير مذمومة .

وعلى هذه الطريقة فى تقسيم البدعة وشمولها للمذموم والممدوح جرى العز بن عبد السلام فقسم البدعة إلى واجبة كوضع العلوم العربية وتعليمها ومندوبة كإقامة المدارس ومحرمة كتلحين القرآن بما يغير ألفاظه عن الوضع العربى ومكروهة كتزويق المساجد، ومباحة كوضع الأطعمة ألوانا على المائدة .

المنهج الثانى :

وأصحاب المنهج الثانى عرفوا البدعة بأنها الطريقة المخترعة على أنها من الدين وليست من الدين فى شىء .

أوهى طريقة مخترعة تضاهى الطريقة الشرعية :

ويقصد بالسلوك عليها مايقصد بالطريقة الشرعية ويدخل فيها العبادات وغيرها وقصرها بعضهم على العبادات فقال :

هى طريقة فى الدين مخترعة تضاهى الشرعيه ، يقصد بالسلوك عليها المبالغة فى التعبد لله .

وهذه التعاريف كما هى ظاهرة تكون البدعة مذمومة على كل حال ولا يدخل فى تقسيمها واجب ولا مندوب ولا مباح .

وأصحاب هذا المنهج يحملون قول سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه « نعمت البدعة » حينما جمع الناس على إمام واحـــد فى المسجد . فى صلاة التراويح وقال: نعمت البدعة هذه على المعنى اللغوى للبدعة .

مجال البدعة :

لقد اختلفت أنظار العلماء فى ذلك فقصر بعضهم البدعة على العبادى دون العادى وقال البعض الآخر : أنها عامة فيهما ،

وأختلفوا فى مفهوم العبادى :

فقال الشاطبى : إن مالا يعقل معناه على التفصيل كالطهارة والصلوات فهى كلها عبادات بمعنى أنها أمور تعبدية غير معقولة المعنى فعلينا السمع والطاعة فقط ،

والعادى ماعقل معناه كالبيوع والنكاح فهى عاديات لأنها أحكام مفهومة .

وقال بعض العلماء : إن العبادى ماعبد به الله .

والحق أن الأمر شاق فى بيان مجال البدعة نظرا لاختلاف الفقهاء فى تحديده .

ومن الخير لنا أن نرجع إلى كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ ففيهما الدواء الشافى والبلسم الكافى .

قال الله عز وجل :

« وما آتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا »(١) .

وقال عز شأنه :

« لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً »(٢) .

وقد بينت السنة أن هناك أمور دينية يجب فيها الاتباع وأمور دنيوية لايلزم فيها الاتباع كما فى حديث تأبير النخل .

وقال العلماء :

إن الدين اعتقاد وعمل ، أو إيمان وإسلام ، والعمل أو الإسلام عبادة ومعاملة وأخلاق .

١ — فالعقيدة تكون البدعة فيها باعتقاد مالم ينزل الله به سلطانا وقد

---

(١) سورة الحشر الآية ٧ .

(٢) سورة الأحزاب الآية ٢١ .

أطلق اسم البدعة أول ما أطلق على أصحاب الآراء المنحرفة والاعتقادات الباطلة .

وقال ابن خلدون فى مقدمته :

« أطلق اسم المبتدعة على مخالفة أهل السنة الذين تصدى الأشعرى لمناقشاتهم فيما وصلوا إليه من عقائد باطلة »(١) .

٢ — والعبادات محدودة من قبل الشارع وخاصة الصلاة فلقد حدد الشارع هيئتها وحركتها وسكونها ولا بد فيها من الاتباع والتغيير فى العبادات بأى وجه يسمى بدعة لمخالفته حكم الشرع :

وقال رسول الله ﷺ : « صلوا كما رأيتمونى أصلى » :

وقال فى الحج :

« خذوا عنى مناسككم » :

٣ — والمعاملات جاءت بها الأحكام كلية وتركت تفصيلاتها لاختلاف الظروف والأزمنة بشرط أن لاتخرج عن حدود التشريع الاسلامى فاورد فيه نص وجب اتباعه ومالم يرد فيه نص عمل فيه بالاجتهاد :

٤ — الأخلاق التى يظهر أثرها فى السلوك الفردى والجماعى كالصدق والأمانة وغيرها فهى أسس السلوك كله فى العبادات والمعاملات ولايجوز مخالفتها ،

وما سبق إنما هو يتعلق بالأقوال التى ورد ذكرها فى الكتاب والسنة

أما الأفعال التى صدرت عن الرسول ﷺ ولم تصدر فيها أقوال من الرسول ﷺ هل تعد سنة أم لا ؟

---

(١) مقدمة ابن خلدون صـ ٣٢١ :

وقال العلماء :

إن ما صدر عن الرسول ﷺ على وجه الجبلة والطبيعة لا تأسى فيه من جهة فعله ، بل التأسى فيما ورد فيه قول عن الرسول ﷺ وغاية مايدل عليه مجرد فعله هو الإباحة :

ولا يصح أن يقال لمن خالف ذلك إنه يدعى تارك السنه :

أما ما كان خاصا بالرسول ﷺ كقيام الليل كله أومواصلته فى الصيام فهذا لا تأسى فيه :

وما كان بيانا للقرآن فإنه يجب فيه التأسى كقطع يدالسارق من الكوع وكأداء الصلاة بكيفيتها المعروفة :

أما مالبس جبليا ولاخاصا ولا بيانا فهو نوعان :

النوع الأول :

ماعمت فيه صفته فى حق الرسول من وجوب وندب وغيرهما :

فعلى الأمة الاسلامية أن تتبعه فى مثل ذلك :

لقوله عز وجل :

« لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر »(١) :

النوع الثانى :

مالم تعلم صفته فى حق الرسول ﷺ أى لم يقم دليل على أنه للوجوب أو لغيره ومثل هذا ينظر فيه : فإن ظهر فيه معنى القربة كافتتاح الرسائل بالبسملة فيحمل على أقل مرتبة وهو الندب ، وإن لم يظهر فيه معنى القربة مثل إرخاء العذبة بين كتفية وقال قائل : لايجب التأس غاية الأمر أنه مأذون فيه وقال أخرون : إنه مندوب :

---

(١) سورة الأحزاب ٢١ :

أما ماتركه الرسول ﷺ جبلة فهذا لا تأسى فيه وذلك مثل أكل الضب فقد ثبت أن خالد بن الوليد رضى الله عنه قال: أحرام هو يارسول الله؟ قال لا: ولكنه لم يكن بأرض قومى فأجدنى أعافه. وقد أكل منه سيدنا خالد فى حضرة الرسول ﷺ ولم ينكر عليه، رواه البخارى ومسلم.

وهناك بعض الأشياء تركها الرسول ﷺ خصوصية كتركه أكل الثوم فهذا لاتأسى فيه أيضا.

فقد ورد أنه لما أهدى إليه طعام فيه ثوم أرسل به إلى أبى أيوب الأنصارى فقال له أبو أيوب يارسول الله أتكرهه وترسل به إلى فقال له:

«إنى أناجى من لاتناجى»

وما ورد من آثار تفيد النهى عن أكل الثوم فهى محمولة على من أراد حضور الجماعة أما من لم يشهد الجماعة فإن أكل الثوم له مباح لعدم تأذى أحد منه.

وما تركه الرسول ﷺ لمانع من فعله وصرح به كصلاة التراويح جماعة خشية الفرضية فهذا لاتأسى به فى تركه لعدم خشية الفرضية بانقطاع الوحى بعد وفاة الرسول ﷺ

ويمكن لنا أن نستدل فى هذا المقام بفعل سيدنا عمر رضى الله عنه حينما قام بأداء صلاة التراويح جماعة فى المسجد وامتدح فعله وقال: «نعمت البدعة هذه»

وإذا ترك النبى شيئاً لعدم المقتضى لفعله ثم حصل المقتضى بعد موته كان للمجتهد أن يرى رأيه وذلك كما حدث فى جمع المصحف بعد وفاة الرسول ﷺ أما ماتركه الرسول ﷺ من الأمور التى لم توجد ولم تتهيأ أسبابها كعلامات

التوقيت ورصد القمر لمعرفة أوائل الشهور فلاتأسى فى تركه وليس فى ذلك مخالفة للسنة لأنه من قبيل المسكوت عنه

وللعلماء حق الاجتهاد فيه .

وبعد هذا البيان نحب أن نقول : إن بعض المتشددين والمغالين فى الدين يتمسكون ببعض الأمور ويحرمون تركها علماً بأن الفقهاء قد اختلفوا فيها واستقر رأيهم فى النهاية على أنها ليست من البدع ولو سلمنا أنها من البدع فإنها من البدع الحسنة التى استحسنها سيدنا عمر رضى الله عنه لأنه لا يترتب على فعلها أو تركها ضرر أو تفويت مصلحة علماً بأن مثل هذه الأمور قد أجمع عليها المسلمون ومنها بعض الأمثلة الآتية :

١ — الأذان الأول لصلاة الجمعة : قال قوم إنه بدعة لأن الرسول ﷺ لم يفعله علما بأن الدواعى لهذا الأذان لم تكن موجودة على عهد الرسول ﷺ والذى ابتدع هذا الأذان هو سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه وقد أقره الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين على فعله ولم ينكر عليه أحد وقد أمرنا الرسول ﷺ باتباع سنة صحابته حينما قال : عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين .

٢ — مافعله سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه حينما جمع الناس على إمام واحد لأداء صلاة التراويح جماعة ولم ينكر عليه أحد .

فهل مافعله سيدنا عمر وما فعله سيدنا عثمان يعتبر من قبيل البدعة التى هى فى النار .

٣ — زيادة درجات السلم على ثلاث درجات اعتبرها بعضهم بدعة لمخالفته ما كان عليه منبر الرسول ﷺ

ونحن نقول ما علاقة زيادة درجات السلم بالعبادات والتقرب إلى الله عز وجل ؟

٤ — قراءة السورة بالمسجد يوم الجمعة بصوت مرتفع .

قال البعض أنها بدعة لأنها لم تكن فى عهد الرسول ﷺ وللنهى عن التشويش على المصلى . وأجاب الآخرون بأن الأمر بالقرآة موجود والانصات إليها مطلوب والصلاة التى تصلى ساعة القراءة سنة وليست فريضة

٥ — رفع المؤذن لصوته بالصلاة على النبى ﷺ بعد الآذان :

قال البعض إنه بدعة لأن الرسول لم يفعله أثناء حياته ولأن الصحابة لم يفعلوه ويرد عليهم بأنه لم يرد نهى عن رفع الصوت بها ولأنه لا يترتب على رفع الصوت بها مفسدة بل قد تكون المصلحة داعية أقلها إعلان التكريم للرسول ﷺ خصوصا فى أوقات ترتفع فيها أصوات الباطل حتى كادت تضفى على الحق . ومن المستحسن رفع الصوت بالصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة ونحن فى وقت تغافل فيه الناس عن الصلاة والتسليم على رسول الله

٦ — مصافحة المصلين بعضهم لبعض عقب الصلاة وقال البعض : إنها بدعة ويرد عليهم بعدم ورود النهى عنها خاصة وأن المصافحة سنة ولا فرق بين كونها بعد الصلاة وبين كونها فى وقت آخر

٧ — قول سيدنا محمد فى التشهد أثناء الصلاة جعله البعض بدعة واستدلوا على ذلك بقول الرسول ﷺ : (لا تسيدونى فى الصلاة) والرد على ذلك واضح وهو أنه ليس من المعقول أن يقول الرسول عن نفسه سيدنا محمد وقال الرسول ﷺ : أنا سيد الناس يوم القيامة وقال : « أنا سيد ولد آدم ولا فخر » .

وقال للصحابة عند قدوم سيدنا سعد بن معاذ عليهم : « قوموا لسيدكم سعد » وكل هذا من باب التكريم والاحترام ولا ضرر فيه

أما ما استدل به المعارضون فكلها أحاديث لاتقوى على الأحاديث المعارضة التى نستدل بها على دعوانا

هذا قليل من كثير من المسائل التى يتشدق بها هؤلاء الذين يدعون حرصهم على التمسك بتعاليم الاسلام وأحكامه

وكان الأولى لهم أن لا يطلقوا البدعة إلا على ما كان فيه مخالفة لتعاليم الاسلام وكان يمس العقيدة أو يمس بالواجبات والمنهيات أما ماليس واجبا أو ليس منهيا عنه فلا داعى للمعارضة فيه خاصه وأن المعارضين كثيرا لايختلفون إلا على المندوبات بينما لاترام يدعون إلى التمسك بالواجبات والابتعاد عن المحرمات وكان الأولى لهم أن يتمسكوا بما فيه نص صريح من الكتاب أو السنة ولا معارضة فيه ولا احتمال لفهم آخر

ونحن نعلم أن الأزمان تتغير والعلم يتقدم وقد جدت أمور كثيرة لم تكن فى عهد رسول الله ﷺ ولا عهد صحابته فهل معنى ذلك أن كل مالم يفعله الرسول ﷺ ولم يأمر بفعله يكون فعله حراما ؟ وإن واقع حياتنا يرد على هذا التساؤل

١ — وسائل المواصلات الحديثة لم تكن على عهد رسول الله ﷺ وابتدعت هذه الوسائل الحديثة بعد زمن طويل من وفاة رسول الله ﷺ فهل معنى ذلك يكون استخدام هذه الوسائل حراما ؟

٢ — إنارة المنازل بالكهرباء :

هل كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كهرباء ولم يستخدمها بالطبع لا .

ومع ذلك فإن الكهرباء قد ساعدت الإنسان فى كثير من أعماله والقيام بكثير من المصالح دون جهد أو تعب فهل تعتبر حراما ؟

ولايجوز لمسلم أن يستخدم الكهرباء لأن الرسول لم يستعملها ؟

٣ — إستخدم الساعات لضبط الوقت بها لم تكن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تعتبر من المحرمات ؟

وهناك الكثير والكثير مما لا يعد ولا يحصى لم يكن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يعرفه الصحابة وظهرت هذه الأشياء بعد وفاة الرسول وأصحابه .

ومع ذلك فإننا نجد فيها نفعاً ومصلحة للإنسانية جمعاء .

ولا تتعارض مع النصوص الدينية ولا تجلب ضررا للإنسان فاستعمالها من الأمور المباحة مادامت لاتمس العقيدة أو تتعارض مع نص شرعى لأن هذه من الأمور العادية أما الأمور الدينية فلايجوز مخالفتها بأى حال من الأحوال .

علاج البدع :

وعلاج هذه البدع يكون بما يأتى :

بالتوجيه والإرشاد تحقيقا لقول الحق تبارك وتعالى :

« أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن »[1] .

ومن الحكمة أن لايتعصب المسلم لرأى معين لم تتفق عليه كلمة الفقهاء

---

(١) سورة النحل : ١٢٥

الذين يعقد بآرائهم فلكل رأيه الذى يميل إليه حسب فهمه أو حسب تقليده لإمام من الأئمة الأجلاء .

ورحم الله الأئمة الأجلاء الذين لم يطعنوا فى واحد منهم بل كان كل واحد منهم يحترم رأى الآخر بل لقد أثر عن بعضهم قوله :

« رأيى صواب يحتمل الخطأ ورأى غيرى خطأ يحتمل الصواب » .

ولم يثبت أبدا أن واحداً من هؤلاء قد أساء بكلمة واحدة إلى آخر بل إن بعضهم بالغ فى احترامه لمذهب غيره وإن خالف مذهبه .

كما حدث من الإمام الشافعى رضى الله عنه الذى لم يقنت فى صلاة الصبح عند زيارته لبغداد احتراما لمذهب شيخها الإمام أبى حنيفة رضى الله عنه المدفون بأرضها والذى يتمسك أهلها بمذهبه ورحم الله هؤلاء فلقد كانوا من أهل الاجتهاد ومع ذلك كان الواحد منهم يحترم رأى الآخر تأدباً منه لأنه يعلم أن الآخر ما وصل إلى ماوصل إليه إلا بنص أو اجتهاد والمجتهد إن أصاب فله أجران وإن أخطأ فله أجر واحد .

ومن الحكمة أن يتفق ظاهر الداعى مع باطنه أو يطابق قوله فعله فلا ينبغى أن يأمر الناس بفعل شىء ويفعل ضده أو ينهاهم عن شىء ويفعله والله سبحانه وتعالى قد حذر هؤلاء من ذلك فقال :

« أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون » سورة البقرة .

ومن الحكمة أيضاً أن لاتتكلم عن غير علم لأننا حينما نتكلم من غير علم نكون قد ارتكبنا خطأ فى حق أنفسنا وحق ديننا لما فى ذلك من تشويه لسمعة الإسلام .

ومن الحكمة أيضاً أن نتمسك بكتاب الله وسنة رسول الله وأن نكون مثلا أعلى للمسلم الكامل وأن نتخلق بالخلق الحسن .

أما مايفعله البعض من تشدد وسوء معاملة مع الآخرين فإننا نقول لهم كونوا قدوة طيبة واهتدوا بهدى الرسول وطبقوا الواجبات أولا واعملوا على تحقيقها ودعوا الجدل جانباً .

وقد روى الإمام مسلم رضى الله عنه أن الرسول ﷺ قال :

« إذا رأيت الرجل يقول : هلك الناس فهو أهلكهم » .

ما أحوجنا إلى التمسك بكتاب الله والتخلق بأخلاق رسول الله والسير على مبادىء الإسلام وأحكامه وأن يكون ظاهرنا كباطننا .

ما أحوجنا إلى إخلاص لله وإلى حب فى الله وإلى رحمته عز وجل .

كلمات مضيئة

« أفضل العبادة أداء الفرائض واجتناب المحارم .

« قد أفلح من عصم من المراء والغضب والطمع .

« الدنيا عدوة أولياء الله ، وولية أعداء الله ، أما الأولياء فغمتهم وأحزنتهم ، وأما الأعداء فغرتهم وأبعدتهم عن الله .